جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

دور السنة النبوية
في بناء الحضارة الإنسانية

إعداد

أ.د/ أمينة بنت سعد بن زايد القحطاني

أستاذ السنة وعلومها المساعد بقسم الدراسات الإسلامية في الكلية التطبيقية بجامعة الملك خالد بأبها المملكة العربية السعودية

المؤتمر العلمي الدولي الثاني

الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي

أصالة الأثر.. عالمية التأثير

(في الفترة من ٨ إلى ٩ فبراير ٢٠٢٥م)

الجزء الأول

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

دور السنة النبوية في بناء الحضارة الإنسانية

د. أمينة بنت سعد بن زايد القحطاني

قسم الدراسات الإسلامية في الكلية التطبيقية بجامعة الملك خالد بأبها المملكة العربية السعودية

البريد الالكتروني: amal-qahtani@kku.edu.sa

الملخص

تكمن أهمية هذا البحث الموسوم بـ: (دور السنة النبوية في بناء الحضارة الإنسانية) في بيان قوة العلاقة بين السنة النبوية والحضارة الإنسانية، وأنه لا تعارض بينهما، بل إن السنة النبوية داعمة لها وداعية إليها، مانعة عن التخلف والانتكاس والرجعية، فيهدف البحث إلى إبراز دور السنة النبوية في حضارة الأفراد والجماعات، وعرض الأحاديث النبوية التي تحث على التقدم والحضارة وتنهى عن التكاسل والرجعية، وبيان عدالة السنة النبوية وإنصافها فلم تفرق بين المرأة والرجل في دعوتها إلى الحضارة والتقدم، وإيضاح شمولية السنة النبوية وتكاملها فقد بدأت بالفرد وإعداده لبناء مجتمعات متحضرة في جميع جوانب الحياة لوعيها أنه اللبنة الأساسية والبذرة الأولى.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وقسمته إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، الأول: دور السنة النبوية في إعداد الفرد المسلم ليكن حضاريًّا متطورًا، والثاني: دور السنة النبوية في بناء مجتمع حضاري متطور، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: إن التشريع الإسلامي تشريع حضاري يهتم بتنوير العقول وإعمالها ويحث على إحداث الجديد النافع المفيد، وأنه كامل وشامل مواكب للعالمية في مختلف الأمكنة وعلى مرور الأزمنة، ولا تنافي بين أن يجمع المسلم بين عمارة دنياه وعمارة آخرته، وأن ترك العمل بالسنة النبوية ومخالفتها خسارة عظيمة وفوات كبير لكل أمر يتعلق بالدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية: الحضارة الإنسانية، العلم، التقدم، الفرد ، المجتمع.

The Role of the Sunnah in Building Human Civilization

Ameena bint Saad bin Zaid Al-Qahtani
Department of Islamic Studies, College of Applied Sciences, King Khalid niversity, Abha, Kingdom of Saudi Arabia
Email: amal-qahtani@kku.edu.sa

Abstract

The importance of this research, titled "The Role of the Sunnah in Building Human Civilization," lies in illustrating the strong relationship between the Sunnah and human civilization. There is no contradiction between them; rather, the Sunnah supports and advocates for civilization, preventing backwardness, regression, and stagnation. The research aims to highlight the role of the Sunnah in the civilization of individuals and communities, presenting the prophetic hadiths that encourage progress and civilization while prohibiting laziness and backwardness. It also clarifies the justice and fairness of the Sunnah, which makes no distinction between men and women in its call to civilization and progress, and it shows the comprehensiveness and integration of the Sunnah, which begins with the individual and prepares them to build civilized communities in all aspects of life, recognizing that the individual is the foundation and the first seed.

The research follows an inductive-analytical approach and is divided into an introduction, a preface, and two chapters:

- **Chapter 1: The role of the Sunnah in preparing the Muslim individual to be civilized and developed.**
- **Chapter 2: The role of the Sunnah in building a civilized and developed society.**

The key findings of the research include:

- **Islamic legislation is a civilizational legislation that focuses on enlightening minds, promoting critical thinking, and encouraging the creation of beneficial innovations.**
- **Islamic law is complete, comprehensive, and aligns with global realities across time and space.**
- **There is no contradiction between a Muslim engaging in both the development of their worldly life and the cultivation of their hereafter.**
- **Abandoning the practices of the Sunnah and violating it is a great loss that affects both the worldly and the spiritual realms.**

Keywords: Human Civilization, Knowledge, Progress, Individual ,Society.

مقدمة

لله الحمد أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، معلّمِ الإنسان ما لم يعلم، مَن نثرَ له في ملكوته علامات تهديه، وسننًا ترشده، والله بها غير ملزَم. والصلاة والسلام على هادي الهداة، وحاديهم إلى الخير، ومصلح الإنسانية الأعظم.

تظلّ الظاهرة الحضارية أضخم إنجازات الكائن البشري وأخطرها، ولأجل ذلك وقف منها موقفين متباينين: الرهبة والعجز، أو التفهم والتخطيط، وتحاول هذه الدراسة، أن تبرهن أن الموقف الثاني هو الخيار الصحيح، وأن الظاهرة الحضارية، على خطرها، فعل إنساني، وأن لها نظامًا مطّردًا، وسننًا إلهية قابلة للتحليل والفهم والتسخير.

وقد ميزنا الله سبحانه عن الأمم، وتفضل علينا بسائر النعم، ومن أعظم نعمه علينا أن أرسل علينا خير الأنبياء والرسل، محمد ﷺ، لنكن خير أمة أخرجت للناس، فكانت دعوته ﷺ أكمل وأمثل تشريع سماوي، إلى يوم الدين، فجعلها متزنة مقدرة شاملة بحيث يسهل تطبيقها في كل مكان وزمان، لتتوافق مع احتياجات الفرد والمجتمعات في شتى أمور الحياة، منها الحضارة والنمو والارتقاء، فإننا نجد أن السنة النبوية قد أعدت المسلم إعدادًا شخصيًّا لينطلق إلى عالم العلم والعمل والفكر والإبداع والاكتشاف، ويتكاتف الأفراد ويترابط بعضهم إلى بعض بروح التعاون والعطاء والنفع والانتفاع؛ فيبنوا مجتمعًا أوجب عليه آداب وأحكام تضمن له تحقيق أهدافه في السمو نحو الحضارة والتطور.

ولئن كان الإسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الإنسانية، فإن الواقع يبين للباحث والمفكر والدارس، أن الحضارة الإسلامية استمدت كل مقوماتها، وعناصر وجودها، وأسباب نمائها وازدهارها، من الإسلام ذاته..

والإسلام كان ولا يزال دين الحضارة والإنسانية، بمعنى أنه كان منذ نزوله دين عبادة، ودين معاملة، وأنه أنشأ لونا من الحضارة، عرف باسمه، وهو الحضارة الإسلامية.. لهذا نجد أن المستشرقين مدفوعين بدوافع شتى، قد ظلموا الحضارة

الإسلامية، حينما أطلقوا عليها في مؤلفاتهم وكتاباتهم: الحضارة العربية أو حضارة العرب، وهذا يدل على الجهل والتجاهل، لأن حضارة عربية بدون إسلام لم تقم..

وقد قامت الحضارة الإسلامية، على دعائم أساسية، جعلت منها حضارة عالمية متميزة، وفريدة من تاريخ البشرية، سأعرض شيئًا من السنة النبوية في ثنايا هذا البحث ليكون كافيًا للاستدلال على صحة هذا القول، لذا جعلت موضوعه: **(دور السنة في بناء الحضارة الإنسانية)**.

أهمية البحث: بيان علاقة السنة النبوية بالحضارة الإنسانية، وأنها داعية لها، مانعة عن التخلف والانتكاس والتكاسل، وأنها تتناسب مع كل الأزمنة ومع مختلف الأمكنة، وعلى مستوى الفرد والمجتمع، فلا تعارض بينهما.

الدراسات السابقة:

المؤلفات والكتب في الحضارة الإسلامية كثيرة ومتنوعة العناصر والأفكار، منها:

١/ الحضارة الإسلامية (أسسها الدينية ومميزاتها ومكانها بين الحضارات العالمية)، لمحمد عبدالهادي أبو ريدة، في هذا الكتاب اقتصر المؤلف على المحاور الموجودة في العنوان، واستدلالاته من الكتاب والسنة قليلة.

٢/ الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، لعبدالرحمن بن حَبَنَّكَة الميداني، تكلم فيه عن معنى الحضارة الإسلامية وأسسها ووسائلها، وموقف الإسلام من التقدم والحضارة، وأثر الأسس الفكرية في بناء الحضارات، ونماذج تطبيقية من المسلمين الحضارية، ولكنه قلما يستدل بالأحاديث الشريفة في كتابه.

٣/ الحضارة الإسلامية، لأحمد السايح، بحث مقدم لمجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، تكلم فيه عن الحضارة الإسلامية ومميزاتها، وهو كذلك قلما يستدل بالسنة المطهرة في بحثه.

٤/ منهج النبي ﷺ في اختيار الكفاءات في ميدان الشورى وصناعة القرار وأثره في بناء الحضارة الإسلامية، للدكتور بشير السيد السيد شكر، وهذا الكتاب من عنوانه ذكر أمرًا واحدًا فقط، كان له دور كبير في بناء حضارة إنسانية، واقتصر عليه، بينما في هذا البحث ذكرتُ أمور عدة اهتمت بها السنة وأبدت عنايتها بها.

٥/ التواصل الحضاري من منظور إسلامي، للدكتورة نورة العيد، وفيه مفهوم الحضارة الإسلامية ومصادرها، وضوابطها، والتواصل الحضاري ومحدداته ودواعيه من منظور إسلامي، ودور الفنون والرحلات الإسلامية واللغة العربية في التواصل الحضاري.

ثم أني اطلعت على أكبرعدد من المؤلفات في الحضارة الإنسانية والإسلامية ولكني لم أقف على كتاب يذكر دور السنة النبوية في تكوين فرد وبناء مجتمع بكل احتياجاتهم ومتطلباتهم للنهوض بهم نحو الحضارة الإنسانية من خلال ذكر الأحاديث الشريفة التي ساهمت في ذلك، والأمور التي ركزت عليها السنة النبوية في إعداد الأفراد والمجتمعات بما يضمن لها النمو السليم والتشبع الذاتي لتحقق أرقى صور الحياة الحضارية.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى عدة أمور من أهمها:

١/ إبراز دور السنة النبوية في حضارة الأفراد والجماعات.

٢/ عرض الأحاديث النبوية التي تحث على التقدم والحضارة وتنهى عن التكاسل والرجعية.

٣/ بيان توافق السنة النبوية مع الحضارة الإنسانية.

٤/ إبراز عدالة السنة النبوية وإنصافها فلم تفرق بين المرأة والرجل في دعوتها إلى الحضارة والتقدم.

٥/ توضيح شمولية السنة النبوية وتكاملها فقد بدأت بالفرد وإعداده لبناء مجتمعات متحضرة في جميع جوانب الحياة لوعيها أنه اللبنة الأساسية والبذرة الأولى.

مشكلة البحث وأسئلته:

يجيب البحث عمّا يأتي:

١/ هل للسنة النبوية أثر في حضارة الأمم؟

٢/ ما الأحاديث الواردة في الحث على التقدم والعمل والبذل وطلب العلى، سواء للفرد أو للمجتمع؟

٣/ هل تتعارض السنة النبوية مع الحضارة العالمية اليوم؟

حدود البحث: جمع الأحاديث الواردة في عناصر البحث من مصادرها الأصلية المختلفة.

منهج البحث: اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي، وقمت بتخريج الأحاديث تخريجًا علميًّا من مصادره الأصلية، وإذا كان الحديث مخرجًا في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالتخريج منهما، مناسبة مع ما تقتضيه طبيعة هذه الأبحاث.

خطة البحث: قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: اشتملت على موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، ومشكلته، وحدوده، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: دور السنة النبوية في إعداد الفرد المسلم ليكن حضاريًّا متطورًا.

المبحث الثاني: دور السنة النبوية في بناء مجتمع حضاري متطور.

والخاتمة والمراجع.

تمهيـــد

إن ديننا الإسلامي دين الحضارة الإنسانية الكاملة بمعنى أنه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة، وقد هيأ للملتزمين به كل أسباب التقدم والرقي الحضاري، ودفعهم بقوة إلى قمم المجد المادية والمعنوية، الفردية والاجتماعية، وقد تولى تحديد المرتبة العظمى، وإقامة معالمها، وإنارة سبيلها، ودعا الناس جميعًا إلى الأخذ بها، والانتفاع من ثمراتها العاجلات والآجلات، وترك لهم مجالًا واسعًا للاستزادة من النظم الحضارية التي أذن لهم بأن يتابعوا تطويرها وتحسينها بحسب ما تقضي به مصالح معاشهم ورفاهيتهم.

ومن المهم أولا أن نعرّف معنى كلمة الحضارة لنستعرض قوة العلاقة بين الإسلام والحضارة الإنسانية.

فكلمة الحضارة لها أصل موجود أيضا في أحاديث عن النبي ﷺ منها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ)[1].

والحضارة كما عرفها أهل اللغة أنها بمعنى: الإقامة في الحضر، قال القطامي: ومن تكن الحضارة أعجبته * فأي رجال بادية ترانا، والحاضر: ضد البادي، والحاضرة: ضد البادية، وهي المدن والقرى والريف؛ سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر[2].

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٢٠/ ٩٠ ح ١٢٦٤٨)، والبزار في مسنده (١٣/ ٣١٩ ح ٦٩٢٢) وغيرهما.

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٢/ ٦٣٣)، ومختار الصحاح، لزين الدين الرازي (ص ٧٥)، وتاج العروس، للزبيدي (١١/ ٤٠)، والمعجم الوسيط (١/ ١٨١).

وفي المعنى الاصطلاحي عرفها ابن خلدون بأنها غاية العمران، وبالتّمدّن[1].

وهي أشمل من ذلك فمن الممكن تعريف الحضارة الإنسانية بأنها: النهضة والتقدم والتطور في مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية، على مستوى الفرد والمجتمع.

(١) تاريخ ابن خلدون (١/١٥٢، ٤٦٨).

المبحث الأول

دور السنة النبوية في إعداد الفرد المسلم ليكن حضارياً متطوراً.

من شمولية الإسلام وتكامله بدأ بالفرد سواء كان ذكرًا أو أنثى، وتهيئته لبناء حضارة تستدعيها متطلبات هذا الفرد واحتياجاته، وتستوجبها رغباته وحياته، ليستمر في رفع حضارته وبنائها وصيانتها على أسس فكرية راسخة، التي لا يمكن أن تنهار مهما ارتفع البناء، وثقلت أحماله، وكثر ساكنوه، فتحقق الصورة المثلى للحضارة، ذات الوجه الإنساني الجميل المشرق، المتدفق حياة وشبابًا مدى الدهر.

فنجد السنة النبوية وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، قد اهتمت بالفرد اهتمامًا بالغًا، وذلك من خلال ما أمرته به، وبما نهته عنه، فقد أمرته بعدة أمور من شأنها الارتقاء به؛ ليكن إنسانًا أكثر وعيًا وفهمًا وضبطًا، يستطيع تحديد أهدافه ويعمل بجد للتطوير من حاله وليس فقط سد احتياجه، تبعث فيه روح التنافس والتسابق إلى الأفضل، تدفعه دوما إلى الأمام، وذلك بتعاليم الشرع في شحن النفوس وطمأنتها، بأنه لن يضيع الله عمل عامل من ذكر أو أنثى، فقد راعته ككل بجميع جوانبه (النفسية والأخلاقية والخلقية والفكرية والاجتماعية والروحية وغيرها)، وحتى يكن الفرد المسلم كذلك أوجبت عليه أمور كثيرة هي أساس الحضارة ونقطة الانطلاق إلى آفاق الازدهار والنمو، **وسأقتصر على أهمها، وأذكر حديثًا واحدًا في كل موضع:**

١/ التعلم عامة وتعلم القرآن خاصة، والسعي في حاجة أخيه المسلم تفريجًا وسترًا:
فقد حثت السنة النبوية على العلم والمسابقة إلى التعلم، وعلى تعلم القرآن ومدارسته، فهو أساس العلوم ومنار العقول، وحثت على الوقوف على حاجة أخيه المسلم لأنها تعنيه وتهمه، وتجعلهم أكثر لُحمة وترابطًا، وجعلت في كل ذلك فضلًا عظيمًا، ومن الأحاديث الدالة على ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا،

سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)[1].

٢/ التأمل والتفكر والاكتشاف: لما لها من منافع جليلة تعود للإنسان في أمر دينه ودنياه، فبها تحرر العقل من قيود العادات والخرافات والأفكار الخاطئة التي توارثت عن طريق التقليد، فقد حوت السنة النبوية على محفزات تحث على التفكر وإعمال العقل ووضعه في المكانة اللائقة به لفهم حقائق الأشياء وإدراك خفايا وتفاصيل ما يحيط بنا من الكون والمخلوقات المختلفة، للنيل من سعادة الدارين، ومن هذه المحفزات النبوية التي تشحن العقول وتنميها وتدعوها للعمل والاجهاد والاستقصاء، كأساليب الاستفهام والسؤال، والرسم البياني، وإثارة الذهن، والحوار، والثناء على السائل من باب التحفيز والتشجيع.

فالسنة النبوية داعية للتفكر والتأمل ومن ذلك ما جاء من حديث عبدالله بن سلام رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لَا تُفَكِّرُوا فِي اللهِ وَتَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ)[2].

٣/ تعلم اللغات الغير عربية: وذلك لحكم منها: أمن مكر العدو، وللسيولة في التعامل والتعايش معه، ولتبادل المنافع والمصالح والخبرات مع غير العرب، ولقد كان النبي ﷺ يحث أصحابه على تعلم اللغات الأجنبية، مما يشير إلى توجيه المسلمين إلى الرحلة في طلب العلم غير المتيسر في بلادهم والبحث عنه في أي مكان، ومن ثم كانت

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٤/ ٢٠٧٤ ح ٢٦٩٩).

(٢) أخرجه: ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٤٢ ح ٤٦٥٩)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (١/ ٢٣٧ ح٢١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٦٧).

الرحلة في طلب العلم من أبرز روافد الحضارة الإسلامية، ومما يدل على ذلك ما رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: (أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ، قَالَ: "إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ"، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ)[1].

٤/ الانضمام إلى الجماعة وعدم الانعزال: وهذا الأمر ضرورة من ضروريات الحياة، وأصل من أصولها، فضلًا عمّا فيه من توحيد للهمم والطاقات، وما له من آثار فاعلة في نجاح العمل وإتقانه وإتمامه، لذا أرشدت السنة النبوية المسلم إلى الانضمام إلى الجماعة، وحرصت على ذلك، فقد شارك رسول الله ﷺ أصحابه في بناء مسجده[2]، وفي حفر الخندق[3]، وغيرها كثير، مما يدل على أهمية الانضمام إلى الجماعة، فلن تجتمع أمته ﷺ على ضلالة، وقد قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من حديث ابن عباس: (لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي – أَوْ قَالَ هَذِهِ الْأُمَّةَ – عَلَى الضَّلَالَةِ أَبَدًا وَيَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ)[4].

٥/ الانتماء الوطني المعتدل: وعلى مر العصور تظهر جليًّا الحاجة إلى تعزيز الانتماء والولاء الوطني، ولا سيما في عصرنا الحالي، فالعلاقة بين الوطن والإنسان فطرية، لذا فقد جاءت السنة النبوية موافقة لهذه الفطرة، ولم تغفل عن هذه العلاقة فقد شملتها

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤/ ٤٦٦ ح ٢١٦٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٠٢ ح ٣٩٨) وغيرهما.

(٢) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢٧٧ ح ٢٦٠٥٣).

(٣) أخرجه: الدارمي في سننه (٣/ ١٥٩٥ ح ٢٤٩٩).

(٤) أخرجه: ابن أبي شيبة في مسنده (١/ ١١٠ ح ١٣٨)، وأحمد في مسنده (٣٥/ ٤٦٣ ح ٢١٥٨٧)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب (٣/ ٣١٨ ح ٣٦٤٥)، والترمذي في سننه، أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في تعليم السريانية (٥/ ٦٧ ح ٢٧١٥) وغيرهم.

وعملت على تكامل حلقات غرس هذه القيم عند كل مسلم؛ لإدراكها بأهميتها وأنها أساس من أسس النهضة، فالانتماء الوطني يثمر لدى الأفراد سلوكيات إيجابية، يظهر من خلالها مدى حبهم لوطنهم، ومدى انتمائهم وولائهم له، مع رفضهم وتباعدهم عن كل فكر هدام، فها هو ﷺ عندما أخرجه مشركي مكة من أرضها، فخرج عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم منها مهاجرًا إلى المدينة وقلبه الطاهر الشريف يتفطر ألمًا لحبه لها، ولأنه يريد أن تنطلق منفعة دعوته من أرض مكة، فهذا واجب كل مسلم تجاه وطنه الذي يواليه ويحبه أن يقدم وطنه على غيره في التضحية والعطاء والمنفعة والخدمة، فخرج من مكة عليه الصلاة والسلام ونظر إليها وهو يقول: (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ)[1].

ويجب التنبه إلى أن هذا الانتماء يجب أن يأتي واعيًا معتدلا، خاليًا من التعصب الجاهلي، ومنضبطًا بالتوجيهات الشرعية، وهذا ما حذرت منه السنة وتوعدت فيه، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ)[2].

٦/١ التفاؤل والأمل: التفاؤل من الصفات الحميدة والرئيسة لأي إنسان ينشد السعادة والنجاح، والتي كان يُحبُّها رسول الله ﷺ، ويحب كل ما يحمل معناه، ويكره التشاؤم وما يحمل معناه، فمن صُوره: أن النبي ﷺ لما جاء سهيل بن عمرو رضي الله عنه وقد أرسلته قريس للمفاوضة، قال: (لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ)[3]. والسيرة النبوية مليئة

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب فضل مكة (٥/ ٧٢٣ ح ٣٩٢٦)، وابن حبان في صحيحه (٩/ ٢٣ ح ٣٧٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٦٧ ح ١٠٦٢٤) وغيرهم.

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن (٣/ ١٤٧٦ ح ٥٣).

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (٣/ ١٩٣ ح ٢٧٣١).

بصور تفاؤله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في كل أحواله، فالتفاؤل من آثار حُسْنِ الظن بالله تعالى والرجاءِ فيه، بتوقُّع الخير بما يسمعه من الكلم الطيب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ)، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: (الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ)(١).

٧/ السعي والعمل وعدم السؤال: فالعمل من أهم أسباب تقدم الأمم، وأمة بلا عمل هي أمة نائمة عاجزة اتكالية لا يمكن أن تلحق بالركب، ولن تستطيع التحكم بشؤونها واستقلالها، لذا نجد أن الإسلام قد عيّن على أفراده العمل والاجتهاد والبذل والسعي وراء تحقيق الأهداف، وذلك لما يحققه عمل الأفراد من ازدهار وبناء ورقي المجتمع ككل وفي مختلف المجالات، وقد حثت السنة النبوية على ذلك وكرهت الاتكالية وسؤال الناس، فقد روى الزبير بن العوام رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ)(٢).

٨/ العمل بجودة وإتقان: الاتقان من صفات الله جل في علاه قال تعالى:﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ النمل: ٨٨ ، أي: أحكمه وأحسن كل شيء خلقه، وأوثقه(٣)، وهو مطلب بشري، لأنه يعني نجاح العمل وقدرته على التطوير والانتقال إلى مرحلة أعلى وأفضل، لذا فإن ديننا الإسلامي ربّى أفراده عليه وطالبهم به، إذ أن له دور كبير في تغيير سلوك الفرد ونشاطه وحياته، فجازى المسلم المتقن عمله خير الجزاء والثواب،

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الطيرة (٧/ ١٣٥ ح ٥٧٥٤).
(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (٢/ ١٢٣ ح ١٤٧١).
(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ١٨٠).

وهو من هدي النبي ﷺ في عباداته وأعماله وأقواله وجميع شؤونه، وقال من حديث عائشة رضي الله عنها: (إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)[1].

٩/ التمدن وترك البادية: بمعنى السكن في المدن، وحول تجمع البيوت وتكاثر السكان، ليتحقق النمو الاجتماعي الذي هو أحد نتائج العطاء المالي، فيكون هذا النمو أدعى إلى الترابط والتلاحم وبالتالي تسهل مهمة تبادل المنافع والمصالح واكتساب المهارات والخبرات، وتجعل من الفرد أكثر حماسًا واندفاعا نحو الصعود وتربي فيه روح المرونة والعطاء، هذا على خلاف لو سكن البادية التي تربيه على الجمود والجهل والجفاء والانتكاس وعدم تقبل التغيير وردّ كل جديد، وهذا ما بينته السنة النبوية من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا)[2].

١٠/ تحمل المسؤولية: وهي مما تمنح الفرد الاستقلالية من خلال التحكم بتنظيم شؤونه الخاصة، فلا يكون رهينة لظروف وأوقات من يقومون بها نيابة عنه، فهي تزيد من خبراته، وتهيئه ليكن قائدًا مميزًا، لتمكنه من اتخاذ القرارات والعزم على إدارة الأمور وتنفيذها، وحل المشكلات التي تواجهه في حياته، والتكيف مع الظروف وفي كل الأمكنة التي يتنقل بينها، ونجد أن السنة النبوية قد حرصت على بناء هذه الخصلة الفريدة التي تصقل شخصية المسلم ليكن أكثر إنتاجية وأسهل تعايشًا وعضوًا فعلًا في مجتمعه، وذلك من خلال تحمله للمسؤولية وأنه مسؤول أمام الله عن المهمة العظيمة، ففي حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ

---

(١) أخرجه: أبو يعلى في مسنده (٧/ ٣٤٩ ح ٤٣٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، (٧/ ٢٣٣ ح ٤٩٣١)، حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٣٨٣ رقم ١٨٨٨٠) والسلسلة الصحيحة (١١١٣).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ٣٦١ ح ٣٣٦٢)، سنن أبي داود، كتاب الصيد، باب في اتباع الصيد (٣/ ١١١ ح ٢٨٥٩)، والترمذي في سننه، أبواب الفتن (٤/ ٥٢٣ ح ٢٢٥٦)، والنسائي في المجتبى، كتاب الصيد والذبائح، باب اتباع الصيد (٧/ ١٩٥ ح ٤٣٠٩) وغيرهم.

رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - (وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[1].

١١/ اغتنام الوقت وعدم مضيعته: عنت الشريعة الإسلامية أيما عناية بالوقت، ولأهميته أقسم الله سبحانه به، فقال: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ ﴾ العصر: ١ فهو نعمة عظيمة على العباد، فالفراغ مغنم ومكسب عظيم، ولا يعرف ذلك إلا من عرف غايته في الوجود وأحسن التعامل مع الوقت، لذا أوجبت على الفرد اغتنامه في منفعته وبما يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير في الدنيا والأخرة، وأن مضيعته فوات عظيم وخسارة كبيرة، وإهداره فيما لا طائلة منه ركلة قاسية إلى الوراء، وانتكاسة مؤلمة يصعب استدراكها، وقد ذكرت السنة النبوية أهميته وجوهريته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ)[2]، وأمرت باغتنامه وعدم مضيعته، فقد قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، من حيث ابن عباس رضي الله عنه: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)[3]، وكما هو ظاهر في الحديث الحث على اغتنام الفرص الثمينة وإعمالها وتسخيرها في منفعة الفرد، وتعويده على ذلك؛ ليكن ذا قيمة ووزن في مجتمعه.

١٢/ القوة وترك الضعف: فالقوة سواء في البدن أو في الدين مطلبا أساسيا في أي حضارة، ولن تقوم حضارة إلا بقوة داخلية، تبدأ من الأفراد، والسنة النبوية قد شجعت الأفراد عليها؛ لكونها السيف الصارم أمام التحديات، والصورة المثلى للاعتزاز والحماية،

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٢/ ٥ ح ٨٩٣).

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة (٨/ ٨٨ ح ٦٤١٢).

(٣) أخرجه:ةالحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤١ ح ٧٨٤٦) وقال: على شرط البخاري ومسلم.

والسبب الركيز في السير بكل ثقة إلى الأسمى والأعلى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)[1]، فهذا الحديث جامع لكثيرٍ من الآداب التي تهذّب النفس البشرية، وتجعل منه فردًا مشبعًا ذاتيًا، وكما نعلم أن هذا النوع من الشبع هو بذرة الارتقاء إلى أعلى القمة، وتجسد الفرد ليكون أداة خير ونفع لمجتمعه، وتقوى لبناته وتتلاحم أعمدته ويشتد وِثاقَه، فينمو مجتمعًا قويًّا ناهضًا مواكبًا لعصره، يحاول دومًا لفت الأنظار نحوه لثقته بأفراده في الإبداع والابتكار والتقدم.

١٣/ أوجبت له حقوق وعليه واجبات اجتماعية: لما فيها من زيادة الترابط والتوازن للفرد، وتعطيه شعورًا عميقًا بالانتماء، ووجود هدف في حياته، وتسهم في شعوره بالسعادة والرضا، فالإنسان يميل بفطرته إلى التواصل مع أقاربه وأهله الذين يجمعه بهم العرق والدم وأيضا مع أقرانه، فالحقوق التي أوجبها الإسلام على أفراد المجتمع أيّ كانت علاقتها بالفرد تعد مفتاح له للنمو الداخلي أولا والسلامة النفسية والروحية وهذه بلا ريب هي القاعدة الراسخة في شخصية الفرد للانطلاق إلى أفق النجاح والتطور، والسنة النبوية كما علمنا قد حرصت على حماية الفرد نفسيا وضمنت له حقوقه وفرضت عليه واجباته التي من شأنها يتحقق له الرخاء النفسي الذي هو أساس الحضارة والرقي، سواء كان: **أمًا أو أبًا**، ففي حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: (أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟)، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ)[2].

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٤/ ٢٠٥٢ ح ٣٤).

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب فضل الجهاد، باب الجهاد بإذن الأبوين (٤/ ٥٩ ح ٣٠٠٤).

أو كان زوجًا أو زوجة، فيجب على الزوجة أن تطيع أمر زوجها وتطيعه ولا يصدر منها أمرًا يغضبه، ففي حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: (لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ)(١).

وكذا يجب على الزوج الإحسان إليها والتودد لها وكذا إلى ابنه وابنته، ففي هذا فضل عظيم، فعن عائشة رضي الله عنها أنه قالت: قال رسول الله ﷺ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ)(٢)، أي لا تذكروه إلا بخير وهذا له أثره الاجتماعي الفعال في إبقاء الذكر الحسن، وبالتالي سلامة السيرة ونقاء القلوب التي هي من أهم الخطوات نحو المجد والحضارة.

ومهما كانت قرابته، أمرت السنة المطهرة بصلته والإحسان إليه والصبر عليه، والعقوبة الشديدة لمن يقطعها، ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه ﷺ قال: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)(٣)، ومن حديث جُبير بن مُطعِم، أنه ﷺ قال: (لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ)(٤).

أو كان جارًا، فعن عائشة رضي الله عنها أنه قالت: قال رسول الله ﷺ: (مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)(٥).

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه (٧/ ٣٠ ح ٥١٩٥).

(٢) أخرجه: الدارمي في سننه (٣/ ١٤٥١ ح ٢٣٠٦)، والترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ (٥/ ٧٠٩ ح ٣٨٩٥) وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن حبان في صحيحه (٩/ ٤٨٤ ح ٤١٧٧) وغيرهم.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق (٣/ ٥٦ ح ٢٠٦٧).

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم القاطع (٨/ ٥ ح ٥٩٨٤).

(٥) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار (٨/ ١٠ ح ٦٠١٤).

وحتى وإن كان ظالمًا أو مظلومًا، فيجب الأخذ بيده ونصرته، في حديث أنس بن مالك، أنه ﷺ قال: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: (تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ)[1].

بل وجعل حقوق عامة لجميع المسلمين، وهي كثيرة منها ما يتعلق بالدماء، ومنها ما يتعلق بالأموال، ومنها في الأنفس والأخلاقيات، يطول ذكرها وتعدادها، ولكن سأذكر هنا حديثًا واحدًا يدل على شمولية السنة النبوية وكمالها فقد حرصت على أدق تفاصيل المعاملات الأخلاقية فكيف بما هو أعظم وأكبر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ)[2].

١٤/ الأمر بمحاسن الأخلاق والنهي عن مساوئها: فالأخلاق والقيم هي أساس بناء حضارة المجتمع، فهي التي تجعله مترابطًا ومتقدمًا، وتحميه من التفكك والتراجع، فكم من دول ومجتمعات تدهورت حالتها بسبب انحدار الأخلاق فيها، ولا يمكن أن تتطور أمة من الأمم بدون أخلاق، فالتطور الأخلاقي يعقبه ازدهار مادي في مناحي الحياة، وتماشيًا مع ما تم ذكره فإن النبي ﷺ كان أكمل الناس أخلاقًا، فهو المتدح بها من الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ القلم: ٤، لذا فإنه كان يحث عليه وينهى عن مساوئها، فعن عبدالله بن عمرو أنه قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا)[3].

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما (٣/ ١٢٨ ح ٢٤٤٤).

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز (٢/ ٧١ ح ١٢٤٠).

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل (٨/ ١٣ ح ٦٠٣٥).

ومن الأمور التي نهته عنها لكونها سببا في التخلف والهزيمة والتراجع والهوان، وهي كثيرة جدًا لكن سأقتصر على أبرزها:

١/ الكسل والجُبْن والبخل: فالاتصاف بهذه الأمور أو بإحداها يعدُّ هوانًا وضعفًا، وهي مؤشر على الجهل والاتكالية والتراجع المعرفي والمهاري لدى الأفراد، ومدعاة لهشاشة البناء المجتمعي، وتسور الركاكة والزعزعة فيه، فلا يوثق به وستموت معه الأهداف والأطماع، لذا نجد أن رسول الله ﷺ قد تعوذ بالله منها؛ لشناعة ما تورثه في النفس من الإحباط والرجعية وعدم الرضا الذاتي، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ)[١].

٢/ الكسب الحرام: فهو من صور الفساد الذي يفتك في المجتمعات، ويفكك روابطه، ومَثله مَثل الداء السام الذي يُسقط هامّة الأمم، ويجعلها تأكل بعضها بعضا، فيسهل على أعدائها نهشها واسقاطها، لذا نجد إن السنة النبوية حذرت منه، لما فيه من المحق والدمار والخسارة في الدنيا والأخرة، فكل أمرٍ يتناقض مع رؤية السنة النبوية في تحقيق التقدم وحضارة الأمة الإسلامية تحرمه وتنهى عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ المؤمنون: ٥١، وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ البقرة: ١٧٢، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)[٢].

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التعوذ من أرذل العمر (٨/ ٧٩ ح ٦٣٧١).

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٢/ ٧٠٣ ح ٦٥)

٣/ مساوئ الأخلاق: وهي كثيرة جدًا، يطول حصرها وذكرها، والاستدلال عليها، ولكن ما وددتُ الإشارة إليه، هو بيان حرص السنة النبوية على التنبيه عن مساوئ الأخلاق وتحريمها؛ لما فيها من انحدار المجتمع نحو حضيض التخلف والرجعية، وانتشار الرذيلة والجاهلية فيه، وتجعله متفككا هينًا موشكًا على السقوط، وكل ذلك ينعكس على مستواه الحضاري، ومرتبته مقارنة بغيره من المجتمعات المتقدمة، وسأذكر هنا حديثًا واحدًا دالًا على مدى صون السنة المطهرة للفرد المسلم، وتحذيره من مساوئ الأخلاق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)[1].

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما}، (٤/ ١٠ ح ٢٧٦٦).

المبحث الثاني

دور السنة النبوية في بناء مجتمع حضاري متطور.

بعدما حرصت السنة النبوية على صحة سلامة اللبنة الأساسية في المجتمع وهو الفرد، أمرت المجتمع بتشريع يحقق له الرخاء الحياتي بكل جوانبه المعنوية والمادية، لتجعل منه مجتمعا قويًّا ثابتًا أمام التحديات، يسير قدمًا إلى مواكبة العصر الذي يعيشه فيبهره بلغة الأرقام المتسارعة في التقدم دون توقف ولا تراجع، فيخرج العلماء والمفكرين والمخترعين في كافة المجالات، وهذا الموضوع بحر لا ساحل له؛ لتشعبه وتعدده وتفرعه، ولكني سأذكر هنا أهم الأمور التي اعتنت بها السنة النبوية لكونها تساهم في النهضة الحضارية وتهيئة المجتمع المسلم ليكن مجتمعًا واعيًا حضاريًّا يسعى للتغير إلى الأفضل والتجديد نحو الأمثل، منها:

١/ التعليم ونشره وتمجيد العلم والعلماء والنهي عن كتم العلم: فالتطور الفكري والبحث العلمي لا يتعارضان مع الإسلام في شيء البتة، فالإسلام ينظم الحياة من جميع وجوهها فهو نظام عالمي، لأنه قانون الفرد والجماعات والعلاقات، لذا أوجب على الفرد والمجتمع ككل أن يتعلم ويعلم، فأول آية نزلت في القرآن فيها الأمر بالقراءة، فقال سبحانه:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ العلق: ١، فهو دين علم وحضارة وشموخ، دافع إلى التبحر والتعمق والأصالة في كل علم وفن؛ لتستنير العقول، وتتهذب النفوس، وتنهض المجتمعات، وتبارز الأقوى فتتقدم عليهم في مختلف المجالات، ففي ديننا الإسلامي يجعل للمكتشف والمخترع وكل من يقدم بعبقريته شيئًا ينفع به نفسه وغيره الثواب الكبير والأجر العظيم، وهذا ما دعت إليه السنة النبوية، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي

دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)[1]، ومن نماذج تمجيد السنة النبوية للعلماء وطلبة العلم وبيان فضلهم، ما رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه، ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ)[2].

فأمة تحظى بهذا التشجيع والترغيب في الفضل والجزاء للعلم وطلبته ألا يجدر بها أن تنافس غيرها في ميادين السمو والنهوض والارتقاء، وتسعى جاهدة لتقديم أفضل ما لديها من إمكانات عقلية وفكرية وعملية وجسدية وتسخيرها في سبيل تحقيق أرقى حضارة إنسانية.

٣/ عمارة الأرض: إعمار الأرض بشتى صورها، واستثمار خيراتها، وتسخيرها لتحقيق حاجات المجتمع واشباعه، من أعظم الإنجازات البشرية، وهو من مستلزمات التعايش في إطار التعاون الإنساني، موافقا مع الفطرة البشرية التي خلق الله الناس عليها، قال تعالى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هود: ٦١ ، أي جعلكم عمّارها وسكانها[3]، ولا تقوم العمارة إلا بالعمل، وهو ما حث عليه الإسلام وأوصى به، وعند تأسيس حضارة راقية لابد من إعمار الأرض، وله صور جمة، أرشدت السنة النبوية إليها وأمرت بها، ومنها البنيان والإحياء، فعن جابر بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً، فَلَهُ مِنْهَا – يَعْنِي أَجْرًا –، وَمَا أَكَلَتِ الْعَوَافِي مِنْهَا، فَهُوَ لَهُ

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من عَلِمَ وعَلّم (١/ ٢٧ ح ٧٩).

(٢) أخرجه: الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٥/ ٥٠ ح ٢٦٨٥)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب)، الطبراني في الكبير، (٨/ ٢٣٣ ح ٧٩١١) وغيرهما.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي "الكشف والبيان"، (٥/ ١٧٦).

صَدَقَةٌ)[1]، فدل الحديث على فضل إعمار الأرض وإحيائها، وهذا يسهم في حضارة المجتمع وازدهاره.

٣/ الدعوة إلى الوحدة والترابط والتماسك والوعيد لمن شذَّ وخرج عن إمام المسلمين: جميعنا نتفق على أن قوى التقارب والانسجام والاتحاد أشدُّ حبال الصمود والارتقاء المجتمعي، وأوثق عُرى المجد والسيادة، وهو أسلم طريق ليحقق ذلك المجتمع أهدافه وآماله الحضارية، والتاريخ والواقع يشهدان بذلك، فقد سجلت حضارة المسلمين منذ بداية الإسلام إلى يومنا هذا أغنى تراث حضاري، وأرقى تنوع ثقافي، لما تميزت به من وحدة وتكاتف وترابط شكلت حافزًا عظيمًا للعلماء وطلبة العلم على الإبداع والتقدم وتطوير جملة العلوم والفنون والمعارف الإنسانية، وعلى النقيض ما تواجد في مجتمع صور من التفرقة والانقسام والتحزب إلا وسقط في هاوية الاحتياج والفقر والضياع والانكسار، ولمّا كانت الوحدة والترابط بهذا الشأن نجد أن السنة النبوية دعت إليها، وأمرت المجتمعات المسلمة التحلي والتمسك بها، وتوحيد الكلمة، وطاعة ولاة الأمر مهما رأت منه، وحذرت من الخروج عن جماعة المسلمين؛ فهي كما قلتُ آنفًا تدعو أتابعها سواء أفرادًا أو جماعات إلى كل ما يعود عليهم بالنفع والخير، وتحذرهم وتحرم عليهم كل ما يلحق الضرر بهم وبمكانتهم في الدنيا والآخرة، وفي هذا الموضوع أحاديث كثيرة، منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ رَأَى مِنْ أَمِرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)[2].

٤/ التسامح والتعاون: لقد قامت حضارة الإسلام على مبدأ التسامح والتعاون مع

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده، (٢٢/ ١٧٠ ح ١٤٢٧١)، والدارمي في سننه (٣/ ١٧٠٠ ح ٢٦٤٩)، والترمذي في سننه، أبواب الأحكام، باب ما ذكر في إحياء أرض الموات (٣/ ٦٥٥ ح ١٣٧٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٩/ ٦٢ ح ٧١٤٣).

الآخرين، فهي حضارة امتزاج وتكامل وتعاون، لا حضارة صراع وتنافر وحقد، وقد شاع بين الغربيين اليوم مصطلح صراع الحضارات، وبنت خططهم على هذا الصراع، لتحقيق المصالح، ولو كان على حساب الخُلق والقيم، هذا وصف حضارتهم، وهو وصف صحيح مطابق لواقعهم، لكن حضارة الإسلام كانت شيئًا آخر؛ لأن بنيانها قائم على قواعد راسخة بيّنة ثابتة، كيف لا يكون كذلك ودستورها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة! وفيهما الدعوة الصريحة إلى التعاون على خيري الدنيا والأخرة، فقد قال رسول الله ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: (اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ)[1].

٥/ صلاة جماعة: فهي صورة مجسدة في إعداد الأجيال إعدادًا تعبديًّا؛ لكونها أساسًا وركنًا متينًا في بناء الشخصية المسلمة التي تستطيع أن تقود الحضارة وتنهض بالأمة، فقد أمر الإسلام بصلاة الجماعة، وهذا الاجتماع في الصلوات الخمس له أثره القوي في نفوس المصلين، حيث يزرع فيهم روح الألفة والوحدة والمحبة والانتماء، كما أنه يُبقي انطباع في نفوس غير المسلمين الذين يشاهدونهم يوحي بقوة المسلمين لأن الوحدة قوة، وكل هذه الأمور تسهم في سرعة النمو الحضاري الإنساني، وتوسِّع من ساحة الابداع والابتكار، فصلاة الجماعة علمت كل فرد مسلم أنه يسير في ركب يحميه ويشجعه ويأخذ بيده ويدفعه إلى الأفضل فلا يشعر المسلم أنه وحيدًا منعزلًا بل جزء من كلٍّ متماسك مترابط، لذا نجد أن السنة النبوية قد حثت على صلاة الجماعة لما لها من أهمية عظيمة، وفضل كبير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا (٨/ ١٢ ح ٦٠٢٦).

ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ)[1].

٦/ الوسطية والحذر من التعصب والتفرقة المذهبية: بمعنى الاعتدال والتوازن فديننا الإسلامي دين حق وعدل، والوسطية اختيار من الله لهذه الأمة ومنهج الله فيهم، تكريم منه سبحانه لتحقيق الأمن والسلام في المجتمع المسلم، فقال في محكم التنزيل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣ ، فالله جل في علاه إنما وصف أمة محمد ﷺ بأنها وسط لتوسطها في الدين، فدينها غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد ولا تهاون ولا تقصير ولا استكبار ولا خنوع ولا ذل ولا خضوع وعبودية لغير الله، ولا تعصب ضد الآخرين ولا رفض لهم ولا اكراه ولا إرهاب ولا ترويع بغير حق، ولا إهمال في دعوة الناس إلى دين التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة وهو دين الأيسر والأسهل، والأبعد عن الشدة والقسوة، وهذا من حكم الله ليحقق لهم الحياة الهادئة الرغيدة، لأنهم أهل استواء واستقامة في الاعتقاد والسلوك والمعاملة والأخلاق، والاتزان في هذه الجوانب أمر غاية في الأهمية لبناء حضارة تنشدها الإنسانية وتطمح لها، وكما نعلم أن نقاء البيئة من شوائب الاختلاف والتعدي والانتهاك أدعى لئن يحقق المجتمع أهدافه نحو التقدم داخليًا وخارجيًا، ومن أجل ذلك دعت السنة المطهرة إلى الاعتدال والوسطية، وحذرت من المشادّة في الدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)[2].

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الآذان، باب فضل صلاة الجماعة (١/ ١٣١ ح ٦٤٧).

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١/ ١٦ ح ٣٩).

٧/ أوجبت الحدود والقصاص والديات: وفيها تتمثل معاني العدالة في أبهى صورها، ويتساوى الناس أمام الشرع والأحكام، ولا فرق بينهم إلا بالتقوى، ويتحقق الإنصاف وترد الحقوق إلى أصحابها، وبها تتأدب المجتمعات وتحذر وتنزجر، فالجميع يعرف ماله وما عليه، وإقامة الحدود على المعتدين، والأخذ بالقصاص هي كما قال الله عز وجل:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ البقرة: ١٧٩، والتفريط أو التهاون بالأخذ بها مدعاة لانهيار المجتمع، وضرب مواطن القوة فيه، ويعم التساهل والتطاول على الغير، ولا يوجد في الأرض أعدل ولا أنظم من شرع الله ومنها حدوده التي فرضها للعباد على العباد، حيث يسير المجتمع في أسلم المسالك وأكثرها أمانًا، وهذا في حد ذاته حضارة إنسانية منشودة، فضلا عمّا تستوجبه من تهيئة أجواء حماسية تسمح للمجتمع التطلع إلى التقدم والتجدد، ولما كانت بهذه الأهمية وهذا الوقع نجد أن السنة النبوية قد أكدت عليها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ)(١).

٨/ الشورى: وهي من المبادئ الشرعية والإنسانية المتعلقة بتقليب الآراء ووجهات النظر في قضية من القضايا، أو موضوع من الموضوعات، قال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى: ٣٨ توازن بين حرية الفرد ونظام الجماعة، وهي العمود الفقري في سلطان الأمة ونهوضها بأمانة الحكم على أساس المشاركة والتعاون والمسؤولية، لذا نجد أن السيرة النبوية مليئة بالمواقف التي استشار فيها رسول الله ﷺ أصحابه رغم أنه معصوم، ولكن ليشعرهم بأهميتهم وثقل وزن كلمتهم وآراءهم عنده، ويفتح أمامهم حقهم في حرية التعبير والرأي، ولستن بذلك الحكام بعده، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةٍ لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)(٢).

٩/ علمهم آداب الجهاد: الجهاد من صور الدفاع ولتوفير الحماية والسلامة لأي مجتمع، وما من أمة إلا وتستدعيها الظروف إلى خوض الحروب وتشهير السلاح أمام أعدائها،

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص...} (٦/ ٢٤ ح ٤٤٩٩).

(٢) أخرجه: ابن وهب في الجامع (ص/ ٣٩٩ ح ٢٨٨).

والأمة الإسلامية كغيرها من الأمم، ولكنها تختلف عنهم بأن هدفها في المعارك والحروب إعلاء كلمة التوحيد أو الشهادة، وكلاهما هدف سامي وشريف، ومع هذا لم تدع الشريعة هذا الأمر من غير ضوابط، بل أوجب فيه آداب وتعليمات يجب الالتزام بها، لتحقيق الهدف من الجهاد، ولضمان الحياة الكريمة لمجتمعها، وقد ذكرت السنة النبوية هذه الآداب، بل كان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يذكّر أمراء الجيوش بها في كل مرة، فعن بريدة بن الحُصيب قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: (اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا)[1]، فبهذه الآداب وأخذها بعين الاعتبار نتأكد أننا في صعود نحو الحضارة والتطور.

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (٣/ ١٣٥٧ ح ١٧٣١)

الخـاتمـة

من أهم ما توصلت له من خلال هذا البحث:

١. إن السنة النبوية داعية للحضارة الإنسانية وداعمة لها.

٢. شمولية وتكامل السنة النبوية فهي تلبي جميع احتياجات الأفراد والجماعات الروحية والمادية نحو النهوض والتقدم.

٣. لا تنافي بين أن يجمع المسلم بين عمارة دنياه وعمارة آخرته.

٤. إن ترك العمل بالسنة النبوية ومخالفتها خسارة عظيمة وفوات كبير لكل أمر يتعلق بالدنيا والآخرة.

٥. عدالة السنة النبوية وإنصافها فلم تفرق بين المرأة والرجل في دعوتها إلى الحضارة والتقدم.

التوصيات:

إعداد أبحاث علمية تدرس العلاقة بين السنة النبوية ومتطلبات العصر الحديث، في مجالات متعددة كطرق التعليم الحديثة، والتوظيف، والترفيه، ومواجهة الجوائح والأزمات والأمراض؛ لما فيها من بيان لمواكبة السنة النبوية للعالمية على مختلف الأزمنة، ودورها الفعال في حل المشكلات والخروج منها في أدنى الأحوال بأقل الخسائر.

هذا وصلّ الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، دار الهداية
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس التميمي الرازي ابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
- الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن الترمذي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الجامع في الحديث، عبدالله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، دار ابن الجوزي – الرياض، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد الحضرمي الإشبيلي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- السنن الصغرى – المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب النسائي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٣٥هـ.

- السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث بن الأزدي السِّجِسْتاني، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم البُستي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- العظمة، عبدالله بن محمد الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
- فتح القدير، محمد بن علي بن الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر الرازي، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- مسند البزار– البحر الزخار، أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٩م.

- مسند الدارمي – سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ، ٢٠٠٠م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المسند، أبو بكر بن أبي شيبة، دار الوطن – الرياض، ط١، ١٩٩٧م.
- المسند، أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، دار المأمون للتراث – دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار)، دار الدعوة.